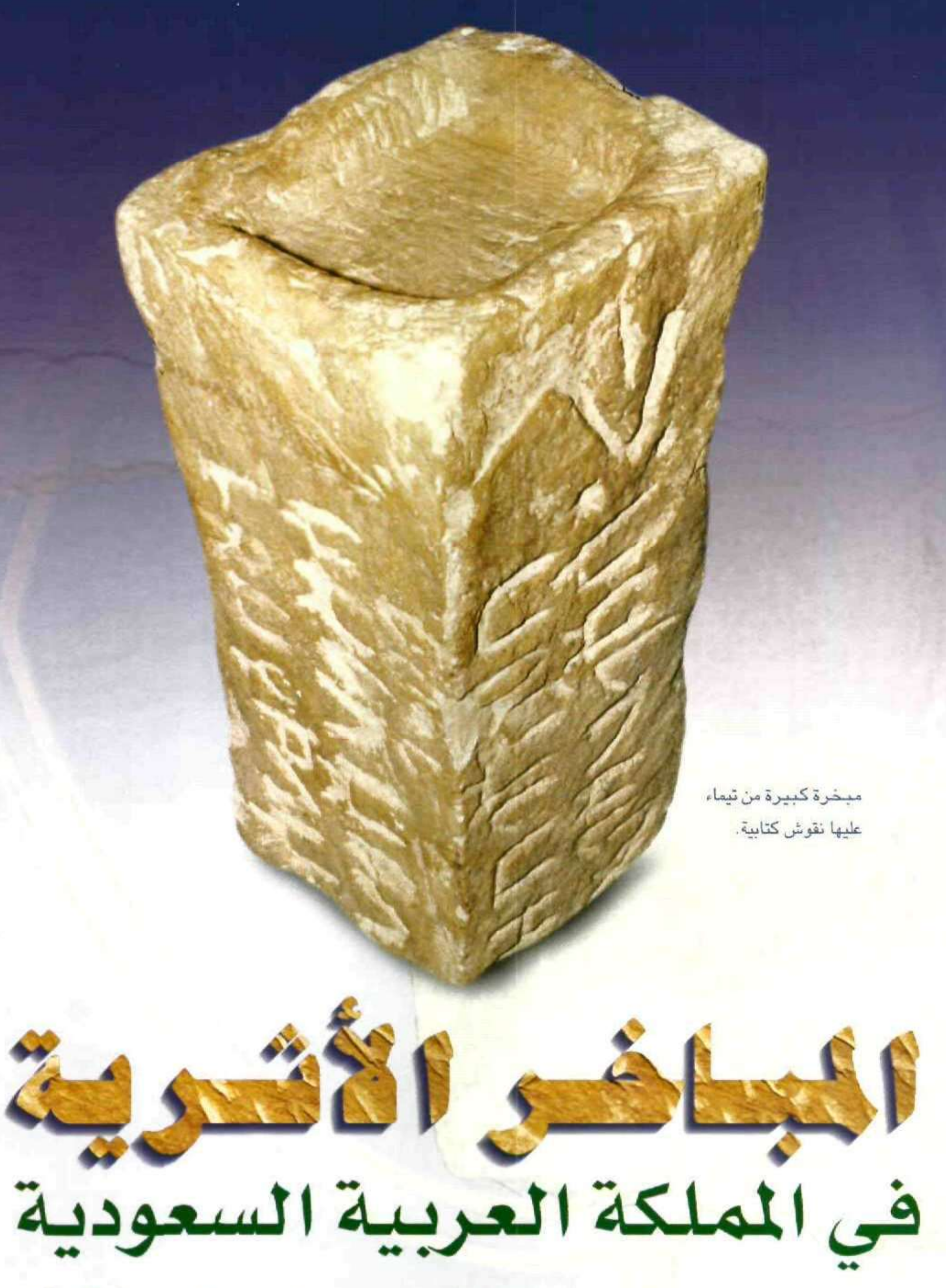
أن منطقة جنوب الجزيرة العربية هي مكمن البخور ومهد إنتاجه، والمكان الذي سُلّطت عليه الأضواء من شتى بقاع العالم، فالبخور عرف برائحته العطرة التي تشرئب لها الأنفس وتستأنس بدخانها الأنوف ، لذا ليس من الغريب أن يمتهن العرب تجارته ويسعون إلى تسويقه ، فالاتجار به مهنة شريفة يسمو فيها الشد والترحال ، قال عنترة بن شداد :

« قف بالديار وصح إلى بيداها ... فعسى الديار تجيب من ناداها
دار يفوح المسك من عرصاتها ... والعود والندّ الذكيّ جناها » (٢)



مبخرة كبيرة من تيماء عليها نقوش كتابية.

المباخر الأثرية
في المملكة العربية السعودية

بقلم : محمد بن سعود الحمود / الرياض



مبخرتان من تيماء على إحداهما بقايا من الحجر.

وقد بدأت المتاجرة به عندما استطاع الإنسان العربي أن يهجّن الجمل منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وهذا ساعد، بلا شك، على ازدهار التجارة العربية مع الحضارات المجاورة كالشام ومصر وبلاد الرافدين.

استفادت المراكز الحضارية القديمة في أرض الجزيرة مثل الفاو والحجر وتيماء وثاج من النشاط التجاري الذي أوجده الطلب المتزايد على البخور.

قبل الإسلام بالبخور واعتبرته مظهراً أساساً كريماً في المراسم الجنائزية، لذا كان الطلب عليه واسعاً، مما أسهم في ازدهار الحركة التجارية لدى العرب في هذا المجال، وأصبحت السلع والبضائع الخارجية تدخل أرض الجزيرة العربية، كما نشطت الحركة الاقتصادية في مراكزها الحضارية، وساعدت القوافل التجارية المتجهة إلى الأمم المجاورة في التعرف على العرب عن كثب، والكتابة عنهم وعن أرضهم.

ولقد استفادت المراكز الحضارية القديمة في أرض الجزيرة مثل الفاو والحجر وتيماء وثاج من النشاط التجاري الذي أوجده الطلب المتزايد على البخور لا سيما إذا علمنا أن تلك المراكز تقع بين مفترق طرق تربط التجارة القديمة بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، لذا أصبحت تلك الحواضر مركز التقاء ودعم مهم في المحافظة على قوافل التجارة وإنمائها في الجزيرة العربية.

ولقد استخدم العرب البخور قبل الإسلام للتطيب لأغراض متعددة، كالمراسم الجنائزية، وفي الإسلام أصبح من الأمور المحببة للمسلمين، خاصة في الأعياد والمساجد وفي الاحتفاء بالضيف، والطيب كان من الأشياء المحببة للرسول ﷺ..

ويقال في اللغة «تبخر بالطيب ونحوه: تدخن، والبخور بالفتح ما يتبخر به ويقال بخر علينا من بخور العود أي الطيب» (٣) .

وقد تعددت أنواع الطيب وأشكاله ومن بينها العود والمسك والعنبر والندّ والكافور والزعفران والعبير (٤) .

كما تعلقت الشعوب والحضارات القديمة خارج الجزيرة العربية

ولقد عثر في الحفريات الأثرية في بعض المواقع الأثرية في المملكة على العديد من المباخر الفخارية والحجرية التي تدل على اهتمامهم البالغ بالبخور، لا سيما إذا علمنا أن أغلب تلك المباخر أو المجامر تحتوي على زخارف جميلة ، والبعض منها يحمل رسوماً وكتابات ومنحوتات لبعض الحيوانات.

المباخر الأثرية في المملكة

الفاو :

الفاو، إحدى أقدم المدن الأثرية، وتقع في الجنوب الشرقي من الخماسين عاصمة وادي الدواسر وتعود إلى القرون الأولى الميلادية وأهم المباخر فيها :

- مبخرة صغيرة من الحجر الجيري، مكعبة الشكل، تحمل على جدرانها كتابة عربية بالخط المسند الجنوبي هي لفظة (رند) وترتكز على قوائم .

- مجموعة أخرى من المباخر صنعت من الحجر، من أهمها مبخرة كتب عليها اسم كهل (٥) .

الدفي :

تقع في المنطقة الشرقية في مدينة الجبيل وتعود إلى الألف الأول قبل الميلاد . وعثر فيها على مبخرة من الحجر ومبخرتين من الفخار (٦) إحداهما صغيرة الحجم مكعبة الشكل ، يبلغ حجمها ٣ سم × ٣ سم بارتفاع ٤ سم ، وهي تعد أصغر مبخرة عثر عليها حتى الآن في المواقع الأثرية في المملكة .

ثاج :

وتقع في شرق المملكة وتعود إلى الألف الأول قبل الميلاد. وقد احتوت على مجموعة كبيرة من المباخر مكعبة الشكل، صنعت من الفخار ذات أربع قوائم مزينة بمجموعة من الأشكال الهندسية الغائرة، من بينها مبخرة صغيرة الحجم، يبلغ طول أضلاعها ٤ سم × ٤ سم بارتفاع ٣٫٥ سم، وعلى جوانبها زخارف غائرة عبارة عن أشكال هندسية. ومن أهم المباخر المميزة في ثاج جزء من مبخرة مكعبة الشكل، صنعت من الفخار تحتوي على أربعة أحواض كان يحرق فيها البخور، وهي موزعة على جميع واجهات المبخرة، ويعد هذا الشكل فريداً من نوعه في المملكة .

الحجر :

تقع الحجر أو ما يعرف بمدائن صالح في شمال مدينة العلا ، وتعود إلى فترة تاريخية تمتد من ١٠٠ق م إلى ١٠٠م . وقد عثر فيها على مباخر من الفخار والحجر الرملي .

مدافن الظهران :

وتقع في مدينة الظهران، شرق المملكة، وتعود آثارها إلى ٥٠٠٠ سنة خلت، وقد امتازت مباخرها بالنقوش والرسوم ، ومن أهمها: مباخر تحتوي على رسوم مختلفة كالعقرب والجمل والسمكة والنخيل والثور (٧)، ومبخرة صغيرة مزخرفة الجوانب بالأشكال الهندسية عليها أثر التلوين الأحمر والأسود.

ومن أهمها أيضاً مبخرة من الحجر، مكعبة الشكل حجمها ٨٫٥سم × ٨٫٥سم، بارتفاع ٦٫٥ سم وعلى جوانبها الأربع زخارف



مبخرة تحمل رسوماً من جنوب الظهران.

هندسية كل ضلع فيها يختلف عن الآخر، وعلى أحد أضلاعها نحت بارز لحيوانين غريبي الشكل متصلين من الخلف، وأيضاً على حافة الإناء زخارف هندسية وعليها أثر الحرق من إشعال البخور.

تيماء :

وتقع في شمال المملكة وتعود إلى الألف الأول قبل الميلاد، ويحتوي موقعها على نوعين من المباخر :

- مباخر تعد الأولى من نوعها في الجزيرة العربية، لأنها استخدمت في آنية على شكل كأس يفترض أن تكون خصّصت للشرب، وهي مبخرة ذات قاعدة بارزة من الخارج وعلى بدنها زخارف بأشكال هندسية تلتف حول البدن ملونة باللون البني الغامق والفاتح، وعثر في إحداها على بعض الفحم مما يؤكد على استخدامها كمبخرة، وهذه النوعية من المباخر وجدت داخل المدافن.
- مباخر كبيرة من الحجر الرسوبي على بعضها زخارف هندسية تحمل كتابات لحيانية، والأخرى كتابات بالمسند الشمالي.

تاروت :

وتقع في جزيرة تاروت الواقعة في الخليج العربي، شرقي المملكة، وعلى قمة تل أثري تسمى قلعة تاروت، ويبلغ عمر بعض آثار هذه الجزيرة ٥٠٠٠ سنة.

وقد عثر فيها على مبخرة من الحجر الصابوني ذات مقبض طويل وحوض المجمر دائري الشكل، ويحتوي البدن



مبخرة حجرية تحمل زخارف وكتابات قديمة في تيماء.

عثر في تاروت على مبخرة من الحجر الصابوني ذات مقبض طويل، حوض المجمر بها دائري الشكل، ويحتوي البدن والقاعدة على زخارف غائرة.



مجموعة من المباخر الفخارية من ثاج.





والقاعدة على زخارف غائرة، قوامها دوائر وأشرطة تلتف حول البدن، وتحتوي قاعدتها على أربعة أرجل.

الأخدود :

تقع الأخدود في مدينة نجران من جنوب المملكة، وهي تعود إلى ما قبل الميلاد وبعده. وقد احتوت على مباخر حجرية شبيهة بالفاو، عليها كتابات بالمسند الجنوبي .

الطائف :

عثر في محافظة الطائف على مصنع متكامل في محجر للصخور يحوي العديد من الأشكال المختلفة من الأواني من بينها :

مبخرة من الحجر الصابوني في طور الإنتاج، وهي مشابهة للمبخرة الحجرية ذات المقبض الطويل والحوض الدائري الشكل التي عثر عليها في تاروت، كما وجدت مبخرة من الحجر الصابوني في طور الإنتاج مربعة الشكل ١١×١١سم بارتفاع ٧ سم، وعليها مقبض صغير.

المباخر في العصر الإسلامي

عثر في منطقة جازان على ساحل البحر الأحمر، وهي ميناء قديم، على مباخر بأعداد كبيرة على شكل مكعبات مزخرفة ، وبأشكال هندسية غائرة في الأرجل والأبدان، ومنها مبخرة ذات شكل متميز صنعت من الحجر الصابوني عبارة عن جزء من بدن، وقاعدة بارتفاع ٥ر٧ سم ذات سمك يصل إلى ٩ ملم، ولم يبق من أرجل القاعدة إلا واحدة، ويشاهد على صدر المبخرة زخرفة من الخارج قوامها تضليع عمودي بارز، ينم عن اتقان فني نادر.

الربذة :

وتقع في الجنوب الشرقي من المدينة المنورة، على مسافة ٢٠٠ كيلومتر ، وقد أسفرت الاكتشافات فيها عن : مسرجة من الحجر الصابوني (٨) شكلها شبه دائري ذات مقبض وقاعدة ذات قوائم، وهي مشابهة لمثيلتيها في الطائف وتاروت إلا أن مقبض المسرجة أقل طولاً .



مبخرة من تاروت صنعت من الحجر الصابوني.

المابيات :

وتقع في جنوب غرب مدينة العلا من شمال المملكة، وقد ازدهرت في القرن الثالث والرابع الهجريين، وعثر فيها على مباخر من الحجر الصابوني والمرمر (٩)، ومبخرة فريدة من نوعها ، هي عبارة عن مبخرة من الحجر الرملي الأحمر، مستطيلة الشكل تحتوي على حوضين للبخور، طولها ٢٠ سم وعرضها ٩ سم بارتفاع ٨ سم ، لكن قواعدها متهشمة. ■

الهوامش

١ - هتون أجواد الفاسي: الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية ، الرياض، ص ٢٨٦.

٢ - شرح ديوان عنترة : الخطيب التبريزي ، وضع هوامشه وفهارسه، مجيد طراد، دار الكتاب العربي ، ط٢، ١٤١٥هـ ، ص ٢١٠.

٣ - لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ، ج٤، ص ٤٧.

٤ - أبي هلال العسكري: التلخيص ، تحقيق ، عزة حسن ، دار صادر ، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ، ص ٣٨٤ - ٣٨٦ .

٥ - عبدالرحمن الطيب الأنصاري : قرية الفاو، جامعة الرياض، ١٤٠٢هـ، ص ١٣٦ - ١٣٧، وص ٦٤.

٦ - محمود الهاجري وزكي آل سيف : تقرير حفرية الدفي للموسم الأول، مجلة أطلال، ع ١٢، ١٤١٠هـ ، ص ٤٤-٤٥.

٧ - علي صالح المغنم: تقرير مبدئي عن نتائج حفرية جنوب الظهران، حولية أطلال، ع ١١، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٠ .

٨ - سعد بن عبدالعزيز الراشد: الربذة، جامعة الملك سعود، ص ٨٦.

٩ - محمد البراهيم وآخرون : تقرير مبدئي عن نتائج الاستكشافات الأثرية في موقع المابيات، مجلة أطلال ، ع ٩ ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٢١.

صور المقال : أرامكو السعودية